وقال ابن ... رأيت عليا رضي الله عنه في المنام فقلت يا أمير المؤمنين عظني فقال
ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلبا لثواب الله تعالى وأحسن من ذلك
تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله تعالى فقلت زدني فقال .

قد كنت ميتا فصرت حيا ... وعن قليل تصير ميتا
فربع بدار الفناء بيتا ... وابن بدار البقاء بيتا

وقال أبو القاسم
القشيري رحمه الله عنه أعظم آفة دخلت على الأغنياء محبة تواضع الفقراء
لهم وهو ذهاب دين الفقراء وبطلان ثواب الأغنياء قلت وإنما يتواضع
للأغنياء من الفقراء أحد رجلين إما جاهل بفضل الفقر داخل فيه بالاضطرار
غابط للأغنياء بما هم فيه وهذا الأغنياء خير منه إذا كانوا أتقياء وإما عارف
بفضل الفقر ولكن فيه ضعف اليقين وقلة الثقة بالله والصبر على الفقر فيحمله
الضعف على التواضع لهم لينيل ما رزقه الله على أيديهم ولقد رأيت من هذا القسم
اثنان فقيه ابن فرج يعظم الأغنياء لعله يعطيهم على ذلك ... ثم زجرته
فيما صدر عنه فقال إنه أتي إليهم قلت ومن حكايات المتواضعين
ومن المتكبرين ما حكي أنه بلغ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن ابنا له
اشترى خاتما بألف درهم فكتب إليه عمر بلغني أنك اشتريت فصا بألف درهم
فإذا أتاك كتابي فبع الخاتم وأشبع به ألف بطن واتخذ خاتما من درهمين
واجعل فصه حديدا صينيا واكتب عليه رحم الله امرأ عرف قدر نفسه
وقومت ثيابه رضي الله عنه وهو يخطب باثني عشر درهما وكانت قباء
وعمامة وقميصا وسراويل ورداء وخفين وقلنسوة وحكي أنه مشى ... الله
بن ... واسع رضي الله ... متبخترا فقال له أبوه أتدري ... اشتريت أمك بثلاث
مائة درهم وأبوك لا كثر الله في المسلمين مثله أنا وأنت تمشي هذه المشية

وجل

وحكي أنه مر الحسن بن علي رضي الله عنهما بصبيان معهم كسر الخبز فاستضافوه
فنزل وأكل معهم ثم حملهم إلى منزله وأطعمهم وكساهم وقال اليد لهم لأنهم لم يجدوا
غير ما أطعموني ونحن نجد أكثر منه وحكي عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه (انظر)
أنه قال ما سررت في إسلامي إلا ثلاث مرات مرة كنت في سفينة وفيها رجل مضحاك
كان يقول كنا نأخذ العلج في بلاد الترك هكذا وكان يأخذ بشعر رأسي ويهزني فيسرني
ذلك لأنه لم يكن في تلك السفينة أحد أحقر مني في عينيه والثانية كنت عليلا في
مسجد فدخل المؤذن وقال اخرج فلم أطق فأخذ برجلي وجرني إلى خارج المسجد
والثالثة كنت بالشام وعلي فرو فنظرت فيه فلم أميز بين شعره وبين القمل
لكثرته فسرني ذلك وفي حكاية أخرى ما سررت بشيء كسروري يوما كنت جالسا
فجاء إنسان وبال علي وعن بعضهم قال رأيت في الطواف إنسانا بين يديه
شاكرية يمنعون الناس لأجله عن الطواف ثم رأيته بعد ذلك بمدة على جسر بغداد
يتكفف شيئا فعجبت منه فقال لي إني تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس
فابتلاني الله بالذل في موضع يترفع فيه الناس وفي التواضع قلت في بعض القصائد

تواضع وشمر واركب الفقر واحتمل ... وجاهد جاهدا عسى هي تفلح
فهو قرب أعلياء والعز بارح ... وهل بارد العز للعزم يجنح
بغ النفس بالعلياء وامش على العلا ... فنل بالمعالي كل عال ونجح
... بالمجد الأثيل من الورى ... سوى من لديه الأحوال بالفقر يفرح
وإما جاء عز النفس عنه ... فذاك الذي بالذل يمسي ويصبح
فعرض لنفسك ... وبابه ... أدع فرجه فالباب يوشك يفتح
فإن جرت يوما ... عزة ... واحتجت حيا أمورها فتوضح
وطب بالحياء النفس في ... وكن ... ينصح

Copyright © King Saud University